اللوحة

وقفتَ أمام إحدى اللوحات تتأملها في مللٍ فقد حضرت مع صديقتها (سهام) المعرض مرغمةً، هاتفتها صباحًا قائلةً:

- تعالي معي معرض (خالد) ابْن خالتي للوحات حتى لا أكون وحيدة، هيا اخرجي يا (ريم) من قوقعة انعزالك.

(سهام) صديقتها المقربة، تعلم هي كم تحب المعارض الفنيه التشكيلية، فوافقت وحضرت معها على مضضٍ، نظرت بتمعن في اللوحة.. كانت ملفتة للعين في مجملها، أعجبتهاً رسومات الطبيعة وما تضمه من نباتات وزهور، اللوحة رسم تجريدي للنباتات بخامة الباستيل، صاخبة ومثيرة في ألوانها، خليط بين الألوان النارية أكثرها دفئًا.. اللون البرتقالي، تأملتها وسرحت فيها وفي صاحبها وتساءلت كيف كان يرسمها؟ وفيمَ كان يفكر؟

تخيلته وهو يرتشف من فنجان قهوته ثم يمسك الفرشاة ليصنع هذا الجمال، تخيلته وهو منهمك في رسم الخطوط والتعامل مع الزيت والأكريليك بدقةٍ عاليةٍ!

سرحت كثيرًا في ألوانها، وهي تحدِّث نفسها:

ـ كيف لأحدهم أنْ يمتلك القدرة على صنع الشيء من العدم؟!

هي لمْ تكن لوحة من البداية! كانت أدوات في يدي صاحبها، وبفكره وإبداعه استخدمها، ونسَّق بينها فخرجت في هذه الصورة!!

قاطع هدوئها شابين جاءا بجوارها لمشاهدة اللوحة، ودار بينهما هذا الحوار:

ـ الأول: جميلة يا محمد، أليس كذلك؟

ـ الثاني: لا أراها هكذا، فتنسيق حجم الزهور فيها لا يعجبني، أراها عادية.

ـ الأول: ولكن ألوانها خلّابة؛ ألمْ ترَ كيف صنع منها عاصفة هوجاء تحمل سيلًا من الألوان النارية؟!

ـ الثاني: عادية، أراها يا (سمير) عادية.

شردت في الحوار بينهما، كل منهم ينظر للشيء نفسه، ولكن كل عينٍ تراه باختلافٍ عن الأخرى!

وقد يحتمل رأي كل منهما الصواب، لمَ لا تكون هكذا كل الأمور؟!

أراها بطريقة وأسلوب، وغيري يختلف عني، أليس كلام كل منهما صوابًا؟

الأول يراها جميلة في ألوانها، خلابة، والثاني لا يعجبه تنسيق وحجم الزهور،هو لمْ يلتفت لجمال الألوان، شاهد فقط النقص فيها والعيوب، ورغم ذلك لمْ يخطئ، لأنَّه يبحث عن الجمال كما تراه عيناه.

تساءلتُ:

- ماذا لو أسقطت هذا المنظور على سَفر (أيمن) للعمل في الخارج؟ أليست أسبابه صوابًا؟ هو يريد لنا العيش الكريم، وعقد العمل ذاك فتح له أبوابًا في ظل ظروف صعبة، وحالة من الغلاء تمر بها البلاد.

أما هي، فقد رأت في ابتعاده عنها شقاءً، حتى بعد مرور ستة أشهر على سفره، لمْ تتكيف بعد على فكرة عدم وجوده بجوارها في أحداثها اليومية الصغيرة، أنْ تتصدَّر المشهد وتتعامل مع الأوضاع تحت كل الظروف، أن تفتح عينيها كل صباح فلا تراه، حتى أوقات الشِّجار والخِلاف تفتقدها، كان حاضرًا، أمَّا الآن فما عادت تشعر به كما كان، رغم المكالمات الكثيرة بينهما، إلّا أنَّها لا تشعر به، ضريبة الغربة والسفر تدفعها من مشاعرها وإحساسها وقلبها.

لكن.. لكن منطقه هو أيضًا حكيم، فالأسعار في ازدياد، والغلاء ينهش في الناس، وهو يخشى عليهما من مرارة الأيام، خاصة أنَّه لا شيء مضمون.

لمعت عيناها للحظة، وهي تربط كل ما سبق في ذهنها.. هي على صواب، وهو أيضًا على صواب!

واختلاف تنسيق الزهور لا يفسد جمال الألوان!

هزت رأسها وابتسمت، وكأنَّها موافقة على هذا الاسْتِنْتَاج، لمْ تعُد غاضبة منه؛ هو نظر للأمور بمنظورٍ، وهي رأتها بمنظورٍ آخر، وكلَاهما رأيه صواب، ابتسمت والتفتت تبحث عن (سهام) لتُخبِرها بهذا الاسْتِنْتَاجِ

الذي زَرع في قلبها الارتياح، خطَت مبتعدة لخطوات عن اللوحة، ثم وقفت فجأة، والتفتت لها، وابتسمت، وقالت بصوتٍ عالٍ :

ـ شكرًا لكِ يا (وشوشة الزهور).

ومَضتْ مبتعدة تبحث عن صديقتها.

أما اللوحة (وشوشة الزهور)، فظلت مكانها مشرقة وملفتة لكل الأنظار.